مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٦: ١٢–٢٠)

يا إخوةُ كلُّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليس كلُّ شيءٍ يوافِق* كلُّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن لا يتسلَّطُ عليَّ شيءٌ* إنَّ الأطعِمةَ للجوفِ والجوفَ للأطعمةِ وسيُبيدُ اللهُ هذا وتلك. أمَّا الجسدُ فليس للزنى بل للربِّ والربُّ للجسد* واللهُ قد أقام الربَّ وسيُقيمنا نحن أيضاً بقوَّته* أما تعلمون أنَّ أجسادَكم هي أعضاءُ المسيح. أفآخذُ أعضاءَ المسيحِ وأجعلُها أعضاءَ زانيةٍ. حاشا* أما تعلمون أنَّ مَن اقترن بزانيةٍ يصيرُ معها جسداً واحداً. لأنَّه قد قيل يصيران كلاهما جسداً واحداً* أمَّا الذي يقترن بالربِّ فيكون معه روحاً

وعي الإنسان لخطاياه

مَثَل الإبن الشاطر الذي نقرأه اليوم غنيٌّ بالمعاني والتعاليم، وهو يشبه إلى حدٍّ ما مَثَل الفريسي والعشار من ناحية إبراز منافع الإعتراف بالخطأ ومساوئ الكبرياء. بعد أن ترك الإبن الأصغر أباه وبدّد كلَّ أمواله عائشاً في الخلاعة، يقول الكتاب أنه «رجع إلى نفسه». كل من يتغرّب عن الله أبيه يكون في حالة ضياع إلى حين يقرّر العودة إليه، عندها يجد نفسه ومكانته من جديد.

فور عودته من البلد البعيد، قال الإبن الضال لأبيه: «يا أبتِ، قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك ولست مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً» (لو ١٥: ٢١). في هذا الكلام إعلان صريحٌ أن هذا الخاطئ أدرك جسامة خطيئته وعدم أهليته للبنوَّة. فبعد أن كان في البدء يعتقد أنه مستحقٌ للميراث، أيقن الآن أنه لم يكن أهلاً للنِعَم التي كان يتمتع بها بالقرب من أبيه، والتي لا توازيها أية لذةٍ أخرى في الحياة. هذا الوعي للخطيئة والرجوع إلى الأب كان سبباً كافياً ليغدق عليه أبوه نعماً مضاعفة.

في المقابل، ظهر الإبن الأكبر الذي لم يخطئ في العلن، كأنه غير مقتنعٍ أو غير راضٍ بالنِعَم التي يتمتع بها، بل يطلب أكثر منها: «كم لي من السنين أخدِمُك ولم أتَعدَّ لك وصيَّةً قطُّ، وأنت لم تُعطِني قطُّ جَدْياً لأفرحَ مع أصدقائي» (لو ١٥: ٢٩). أكثر من ذلك، فُهم من حديث الأخ الأكبر أنه يعتبر نفسه مستحقاً للكثير وأبوه لم يعطه إلا القليل، وبهذا انتهى إلى حيث ابتدأ الأخ الأصغر حين طالب أباه بنصيبه من الميراث. خطأ هذا الإنسان الذي بقي مع والده هو الكبرياء الذي تنتج عنه كلّ الشرور، والذي يحرم الإنسان من الفرح الناتج عن تقدير عطايا الله والتنعّم بها.

إن الكنيسة تعلّمنا أن نتذكر دائماً أننا أناس خطأة، وأن نقدّر كل نعمة يغدقها الله علينا. هذا الوعي لخطايانا يمنحنا قلباً منسحقاً، فنفرح عندما نكون بسلام ومتعافين، ونتعزى في الأحزان التي تصيبنا لأننا نعتبر ذواتنا مستحقين المصائب لكثرة

العدد ٨/٢٠١١

الأحد ٢٠ شباط
أحد الإبن الشاطر

تذكار أبينا الجليل في القديسين

لاون أسقف قطاني

اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

واحداً* أُهربوا من الزنى. فإنَّ كلَّ خطيئةٍ يفعلها الإنسانُ هي في خارج الجسد. أمَّا الزاني فإنَّه يُخطئُ إلى جسده* أم ألستُم تعلمونَ أنَّ أجسادَكم هي هيكلُ الروحِ القدسِ الذي فيكم الذي نلتموهُ من الله وأنَّكم لستم لأنفُسِكم* لأنَّكم قد اشتُريتم بثمنٍ فمجِّدوا اللهَ في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.

الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ كان له إبنان* فقال أصغرُهما لأبيهِ يا أبتِ أعطِني النصيبَ الذي يخُصُّني من المال. فقسَم بينهما معيشَتَه* وبعد أيامٍ غيرِ كثيرةٍ جمعَ الإبنُ الأصغرُ كلَّ شيءٍ له وسافرَ إلى بلدٍ بعيدٍ وبذَّرَ ماله هناك عائشاً في الخلاعة* فلمّا أنفق كلَّ شيءٍ له حدثَت في ذلك البلدِ مجاعةٌ شديدةٌ

خطايانا. لقد سبق داود النبي وأعلن أن «الكل قد زاغوا معاً وفسدوا، ليس مَن يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز ١٤: ٣)، وهذا ما أكّده بولس الرسول أيضاً: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو ٣: ٢٣). إن حالة الخطيئة هي منتشرةٌ لدى كلّ البشر، وكلّنا يصلّي مع كاتب المزامير: «فإنّي أنا عارف بإثمي وخطيئتي أمامي في كل حين» (مز ٥٠: ٣). حتى الأبرار والذين يجاهدون لعيش الفضائل والابتعاد عن الرذائل، هؤلاء يوصيهم الرب قائلاً: «أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إنَّنا عبيد بطّالون، لأنَّنا إنما عملنا ما كان يجب علينا» (لو ١٧: ١٠). إذا كانت هذه حال الأبرار، فكيف تكون حال الخطأة الذين لا برّ لهم؟ إن الكمال الذي يدعونا الرب إليه هو كمال لامتناهٍ، مهما تقدّم الإنسان في حياة القداسة لا يستطيع القول أنه وصل إلى مبتغاه. خلافاً لذلك، كلما ازداد نمو الإنسان الروحي، يزداد وعيه لخطاياه وهفواته الصغيرة، فينمو أكثر في حياة التوبة التي لا نهاية لها في هذه الحياة.

لقد علّمنا ربّنا بأقواله وأمثاله وبالأحداث التي عاشها أن نتذكّر دائماً أننا خطأة. نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما حدث على جبل الزيتون قبل الآلام. لقد قال الرب لتلاميذه: «كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة، لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدَّد الخراف» (مر ١٤: ٢٧). وحين حاول بطرس الرسول أن يزكّي نفسه متعالياً على باقي الرسل، تنبّأ له الرب بأنه سينكره ثلاث مرّات: «فقال له بطرس وإن شكّ الجميع فأنا لا أشكُّ، فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرَّتين تنكرني ثلاث مرَّات» (مر ١٤: ٢٩-٣٠). حتى بولس الرسول أعلن عن نفسه أنه أوّل الخطأة (عب ٩: ٨).

لا يهدف تذكّر الخطايا إلى دفع الإنسان نحو اليأس، فالرب قال للقديس سلوان الآثوسي: «ضع نفسك في الجحيم ولا تيأس»، أي تذكّر دائماً أنك لا تستحق السماء لكثرة خطاياك، ولكن دون أن تيأس من رحمة الرب الذي هو وحده يخلّصك. إن الإفتكار بكثرة خطايانا وبعدم شكرنا للإحسانات التي يعطينا إياها الله، يمنحنا «قلباً متخشعاً متواضعاً لا يرذله الله» (مز ٥٠: ١٧). وعليه، تعلّمنا كنيستنا أن نصلّي صلاة الرب يسوع أو صلاة القلب التي نعترف فيها بكوننا خطأة. «أيها الرب يسوع المسيح، ابن الله الحي، إرحمني أنا الخاطئ»، هذه الصلاة القلبية نعترف فيها بألوهة الإبن المتجسّد، لكننا أيضاً نقرّ بشكل دائم أننا خطأة محتاجون لرحمة الرب. هذه الصلاة التي يسعى المؤمنون أن يعيشوها في كل وقت، تجعلنا في حالة وعي دائم لأمرين متناقضين، حالتنا الساقطة بالخطيئة التي تقابلها رحمة الله التي ترفعنا أبداً إليه. يقول بولس الرسول: «حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جداً» (رو ٥: ٢٠). فإن وعى الإنسان خطاياه الكثيرة يترافق هذا الوعي مع إدراك لنعم الله الكثيرة كما حصل مع الإبن الضال.

ألا أهّلنا الرب جميعاً في هذا الموسم الجهادي الذي نحن مقبلون

فـأخذ في الـعَـوَزِ* فـذهب وانضـوى إلى واحـدٍ مـن أهـلِ ذلك البـلـدِ فـأرسـلَـهُ إلى حقوله يرعى خنازير* وكـان يشـتـهـي أن يمـلأ بطنَـهُ من الخرنوبِ الذي كانت الخنازيـرُ تـأكلُهُ فلم يُـعـطِـهِ أحدٌ* فـرجـعَ إلى نـفسِـه وقـال كـم لأبـي من أُجَـراء يَـفضُـلُ عـنـهم الخبـزُ وأنـا أهـلِـكُ جوعـاً* أقـومُ وأمضـي إلى أبـي وأقـولُ لـه يـا أبتِ قد أخـطـأتُ إلى السـمـاءِ وأمـامك. ولستُ مسـتـحقًّا بـعـدُ أن أُدعـى لك ابـنـاً فـاجعَلـني كـأحَدِ أُجرائِكَ* فـقـام وجـاء إلى أبـيـه. وفيما هو بعدُ غيرُ بعـيدٍ رآهُ أبـوهُ فـتـحـنَّـن عـلـيـهِ وأسرع وألقى بنفسِه على عـنـقـه وقـبَّـلـه* فقال لـه الإبنُ يـا أبـتِ قد أخطـأتُ إلى السماءِ وأمامك ولست مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابـنـاً* فـقـال الأبُ لـعبيده هـاتـوا الحلَّـةَ الأولى وألبِـسوهُ واجعـلوا خـاتِمـاً في يدهِ وحذاءً في رجليهِ*

عليه وفي كلّ أيام حياتنا، أن نتشبّه بـالإبـن الضـال لـنـعـي خـطـايـانـا ونسعـى لـلـتـطـهر مـنـهـا. ولـنـتذكّر دائـمـاً، في سـعـيـنـا بـنـعـمـة الـلـه إلى الـتـنـقـيـة من الأهـواء، أن نـبـقـى في الـتـواضـع لـئـلا نـعـتـبر أنـفسـنـا مسـتـحـقين لخيرات أكثر مـن الـتـي ينعم بها الله علينا.

الشاطر المعاصر

كلُّنا نعرف مَثَل الإبن الشاطر الوارد في الإنجيل والذي يخبرنا عن الإبن الصغير الذي يأخذ نصيبه من أموال أبـيـه ويـذهب ليصرفـه عـلى ملذّاته، ثم يفتقر ويعود ليجد أباه بانتظاره. أمّا أخوه الأكبر فلا يتقبّل فكرة رجوعه معتقداً أنّه ببقائه مع أبـيـه طـوال الـوقت كـان هـو الإبـن الـبـارّ، بـيـنـمـا كـان أخـوه الـصغير خـاطـئـاً ولا يستـحق أن يرجع إلى المـنـزل الأبوي.

منطق الأب اختلف عن منطق الإبـن الأكبر تجاه الإبـن الأصـغـر الذي ضلّ طريقه ثم عاد فوجدها. سنتوقف عند تصرّف الإبن الأكبر الذي لا نزال نجد مثله في أيامنا هذه لدى الكثير من المسيحيين.

لقد كان الإبن الأكبر يطمع، في قرارة نفسه، بأن يكافئه أبوه على عمله. هذا ما نفهمه من قوله: «ها أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجدياً لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي» (١٥: ٢٩). غيرته من أخيه الأصغر أعمته عن الـنـعـيـم الـذي يـعـيش فـيـه والـذي سيـكـون لـه في الـنـهـايـة، لـذلك لم يتقبّل توبة أخيه.

ألا نـقـوم نـحـن أيضـاً بـأعـمـال مشـابـهـة؟ نصوم ونصلّي ونقضي ساعات في الكنائس ونعمل ما يرضي الله طمعاً بالملكوت السماوي، لكن إن عرفنا أنّ أحد مدمني المخدِّرات مثلاً أو أحداً ممّن سبق لهم أن قاموا بعمل سيِّئ أتى إلى الكنيسة تائباً ليعترف ويصلّي ويتناول، نقضي عـلـيـه أولاً بـفكرنـا إذ تبدأ الأفكار الشريرة تنهمر على عقولنا وقلوبنا: ما الذي أتى به إلى هنا؟ إنّه خاطئ لا يستـحقّ الـدخـول إلى بيت الرب الـطـاهـر! ثـم نـبـدأ بـتسـمـيـم أفكار الآخرين بـإخـبـارهـم الأمـور السيّئة عن هذا الآتي ملتجئاً إلى بيت الرب.

نجد في أخبار شيوخ صحراء مصر الخبر التالي: خطئ أحد الإخوة فطرده الكاهن من الكنيسة، فنهض الأب بيساريوس وخرج مع المطرود قـائـلاً: «وأنـا أيضـاً خـاطـئ». نجد أيضاً ما يلي: سأل أخٌ يقيم مع إخوةٍ الأب بـيـسـاريـوس قـائـلاً: «مـاذا أعمل؟» فأجابه الشيخ: «اصمت ولا تقارن نفسك بالآخرين». من هذين الخبرين نتعلّم كيف أنّه علينا دوماً تذكّر خطايانا قبل خطايا الآخرين. الـكـلّ خـاطـئٌ مـا عـدا ربّـنـا، وهـو الـوحيد الذي يمكنه إدانة الجميع، لكنّه إله رحيم ومحبٌّ للبشر. نرتّل في مزامير الغروب: «إن كنت للآثامِ راصداً يا ربّ، فيا ربّ من يثبت، لأنّ من عندك هو الإغتفار»، هذا يعني أنّه إذا قرر الرب أن يدين كل واحد حسب خـطـايـاه لما استـطـاع أحد الـدخـول إلى الأخـدار السـمـاويـة، ولساد اليأس على البشرية. لا أحد أفضـل مـن الآخـريـن مـن حـيث الخطيئة (لو ١٣: ١–٥).

إنّ رحمة الرب واسعة، وكلّ إنسان يستـحـقّ فـرصـةً جديدة إذا

واتوا بالعِجْلِ المسمَّنِ واذبحوه فنأكلُ ونفرَح* لأنَّ ابنيَ هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد. فطفِقوا يفرَحون* وكان ابنُه الأكبرُ في الحقلِ. فلمَّا أتى وقرُبَ من البيتِ سمعَ أصواتَ الغِناء والرقصِ* فدعا أحد الغِلمانِ وسأله ما هذا* فقال له قد قدِمَ أخوك فذبحَ أبوك العجلَ المسمَّن لأنَّه لقيَه سالماً* فغضبَ ولم يُرد أن يدخل. فخرج أبوه وطفِقَ يتوسَّلُ إليه* فأجاب وقال لأبيه كم لي من السنين أخدِمُك ولم أتعدَّ لك وصيَّةً قطُّ وأنت لم تُعطِني قطُّ جَدْياً لأفرحَ مع أصدقائي* ولمَّا جاء ابنُك هذا الذي أكلَ معيشتَك مع الزواني ذبحتَ له العجلَ المسمَّن* فقال له يا ابني أنت معي في كل حينٍ وكلُّ ما هو لي فهو لك* ولكن كان ينبغي أن نفرَحَ ونُسرَّ لأنَّ أخاك هذا كان ميّتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد.

تاب وعاد عن خطاياه، لهذا منحنا الرب سر التوبة والإعتراف. فالإنسان الخاطئ الذي يعترف بخطاياه يكون أنقى من أولئك الذين يقضون وقتهم في الكنيسة ويظنّون أنّهم أفضل من سواهم. لذا علينا ألاّ ننسى أنّ الرب قال إنّ الخطأة والعشّارين هم السبّاقون إلى ملكوت السموات.

في أيّامنا هذه يضلّ كثيرون من الشباب عن الطريق القويم متّجهين إلى المخدرات والزنى والسرقة وغير ذلك من الأمور المسيئة إليهم وإلى الآخرين. إنّ دورنا كمسيحيين أن ننتشل إخوتنا الساقطين في الزلاّت ونساعدهم إذ إنّنا مسؤولون عنهم كونهم أعضاء مثلنا في جسد المسيح الواحد. إذا عاد هؤلاء الشباب عن أخطائهم علينا أن نقبلهم لا أن نحاكمهم، وأن نكون رحماء مثل الله الذي خَلَقنا على صورته، مثل الأب الذي انتظر عودة ابنه بفارغ الصبر واستقبله بحرارة، لا كالإبن الأكبر الذي حكم على أخيه الأصغر دون إعطائه فرصة جديدة ليُظهر توبته.

سبت الأموات

في السبت الذي يسبق أحد مرفع اللحم رتبت الكنيسة المقدسة أن تُقام ذكرى للأموات الراقدين على رجاء القيامة. لذلك تُقام القداديس الإلهية في كافة كنائس الأبرشية صباح السبت ٢٦ شباط ٢٠١١.

من أقوال الآباء الشيوخ

+ قالوا عن الأب سيسوي إنه لمّا أوشك أن يغادر العالم، صار وجهه كالشمس، بينما كان الآباء حوله، وقال لهم: ها قد جاء الأب أنطونيوس. وبعد قليل، تمتم قائلاً: ها قد جاء رهط الأنبياء. ثم تألّق وجهه أكثر وقال: ها قد وصل مصاف الرسل الأطهار. ثم ازداد وجهه تألّقاً وبدا كأنه يكلّم أحداً، فسأله الشيوخ: ومن هو المتحدث إليك يا أبانا؟ قال: ها إني أرى الملائكة تقترب لتحملني، لكني استعطفهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب. فقال له الشيوخ: لا حاجة لك إلى التوبة يا أبانا. أجاب الشيخ: في الحقيقة لا أظن أني قد بدأت. فأيقن الجميع أنه في قامة رفيعة جداً من القداسة والكمال. وفجأة أضاء وجهه كالشمس، فخاف الحاضرون، أمّا هو فقال لهم: انظروا ها الرب قد جاء وهو يقول: «احضروا إليّ إناء البرية». وللحال أسلم الروح، فصار في المكان برق، وامتلأ البيت شذى عطراً.

+ قال الأب سيسوي جهاراً: تشجّع يا أخي، إذ لي ثلاثون سنة لا أتضرّع إلى الله من أجل خطيئة، لكني أصلّي هكذا: يا ربي يسوع المسيح، استرني من لساني لأني بسببه أسقط كل يوم في الخطيئة.

+ سأل أحد الآباء الأب سيسوي: إذا كنت في البرية وجاء بربري يريد قتلي وقويت عليه، هل أقتله؟ قال له الشيخ: كلا. إنما سلّمه إلى الله، لأنه عندما تحل تجربة بالإنسان، فليقل: «إن هذا حدث من أجل خطيئتي». وإذا كان الأمر صالحاً ليقل: هذا تدبير يمين الله.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb